الحلقة (٢)

○ ما مفهوم تاريخ الفقه؟

تاريخ الفقه هو العلم الذي يبحث في **نشأة الفقه الإسلامي وأصوله**، ووقت بدء تدوين مصادر الشريعة الإسلامية، واجتهاد العلماء ودورهم في مراحل هذا التشريع، وجهود تلاميذهم، وأماكن انتشار هذا الفقه.

○ ما المقصود بالقانون الوضعي؟

كلمة (**قانون**) من أصل فارسي أو يوناني، ومعناها: **الأصل أو القاعدة**، وفي اللغة العربية استعملت في **القياس**، فالقانون هو مقياس كل شيء، أما معناها **لدى القانونيين** قالوا: **هي مجموعة القواعد التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع، ويتعين عليهم الخضوع لها ولو بالاقتضاء.**

القانون الوضعي لهُ قسمان رئيسان: **الأول: قانون عام، الثاني: قانون خاص.**

الأول: القانون العام: وهو قسمان:

١. **الخارجي:** هو مجموعة القواعد التي تنظم علاقة الدول بعضها ببعض، وتحدد حقوق كل منها، وواجباته، سواءً في حالة الحرب أو في حالة السلم.

٢. **الداخلي:** هو مجموعة القواعد التي تحدد كيان الدولة وتنظم علاقاتها مع أفراد المجتمع بصفتها صاحبة السلطة والسيادة، والداخلي ينقسم إلى أربعة أقسام: **(دستوري، مالي، جنائي، إداري).**

الثاني: قانون خاص: هو مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات التي لا تكون الدولة طرفاً فيها بصفتها صاحبة السلطة والسيادة.

فهذه القوانين من صنع البشر ونتاجهم الفكري، وفكر الإنسان مهما بلغ فهو فكر ناقص وقاصر، تختلف مقاييس الخير والشر في نظره، لتفاوت الأفكار وعدم عصمتها من الزلل والاندفاع خلف الشهوات والرغبات، أيضاً لافتقار هذه القوانين إلى عنصرين رئيسين هما عنصر العدل وعنصر الأخلاق، فلا تُهَذَّب النفس الإنسانية إلا إذا وُجد هذان العنصران.

○ ما اتفقت فيه الشرائع السماوية وما تفاوتت فيه

منذُ أن بدأت الخلية الأولى على وجه الأرض بأبينا آدم والدعوة إلى الله قائمة معه جنباً إلى جنب، فآدم أول إنسان على وجه الأرض وأول نبي فيها، فكان نبياً في أولاده، ومن يقرأ قصة ولديّ آدم يجد أنه كان لهم شريعة بينت الحرام والحلال وتضمنت الجزاء على فعل الخير والجزاء على فعل الشر، ومعلوم أن شريعة الله في الأرض لا تقوم معالمها على اجتهادات المخلوقين من الأنبياء والمرسلين، ولا تقوم على فلسفات خاصة، لكنها منهجٌ رسمهُ الله سبحانه وتعالى لخلقهِ لأن الله أراد لهذا الكون أن يقوم لغاية عظيمة وهي عمارتهُ بذكر الله، فالدعوة إلى الله حقٌّ ولابد أن تبدأ الحياة تأسيساً على ذلك الحق، ثم إن

لكل شيء بداية ونهاية كما هو مقرر، وقد اتفقت الرسائل السماوية على أن بعث الإنسان يوم القيامة حق، وأن حسابهُ على أفعاله في الدنيا حقٌّ، وأنهُ سوف ينالُ جزاءهُ على ما عمل بحق، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، إلا أن الله تعالى لم يترك الناس سُدى دون تبصيرٍ وإرشاد، فبعث الأنبياء والمرسلين يدلون الناس على عبادة الله، ويبصرونهم بما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ويقول تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ وكل دعوةٍ إلى الله تأتي على لسان أحد أنبيائه ورُسوله تهتم بإصلاح **جانبين من جوانب الحياة.**

الجانب الأول: جانب العقيدة: يعرف بـ**(أصول الأحكام)+(لا مجال فيه للتغيير)**

ويهتم هذا الجانب بتصحيح عقائد الناس في الإيمان بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، ثم بعد ذلك حياةٌ أخرى يخلد فيها الإنسان فإما في الجنة وإما في النار، فقد حدد الشارع هذه الحقائق وألزم الخلق الإيمان بها إيماناً جازما لا يعتريهِ شكٌّ ولا ريب، إلى جانب إقامة مصالح العباد والمناداة بمكارم الأخلاق، وهذه الركائز التي تقوم عليها العقيدة الصحيحة لا تختلف باختلاف الأزمان ولا تتغيرُ بتغير الأماكن، ولهذا جاءت الكتب السماوية يصدقُ بعضها بعضا، وكذلك الأنبياء والمرسلون يصدقُ بعضهم بعضا، فلا يختلفون في هذا المنهج، لأن مرسلهم واحد، والمقصد من بعثهم في أممِهم مقصدٌ واحد، وزبدة رسالاتهم ومفتاح دعواتهم جميعاً هي معرفة المعبود سبحانه وتعالى بأسمائهِ وصفاته وأفعاله، وإخلاص العبادة لهُ وحده، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ولهذا كان الإيمان بالرسل السابقين والكتب التي أنزلها اللهُ إليهم جزء من الإيمان بالله في كل رسالة، ويعرف هذا الجانب بأصول الأحكام.

الثاني: جانب الأحكام العملية: يعرف بـ**(فروع الأحكام)+(فروع أحكامه تتغير بتغير الأزمنةِ والبيئات، فما يناسب قوم قد لا يناسب آخرين لاختلافهم في الطبائع والأعراف والبيئات)** وهي التي تنظم التعامل في ما بين الناس من علاقات ومعاملات، بحيث لا تعارض مع حياتهم العملية في مظاهرها ووجوه الانتفاع بها فيما بينهم، على الوجه لذي يمنع المظالم ويحقق لهم الأمن والاطمئنان، ويجلبُ لهم المصالح، ويدفع عنهم المفاسد، وهذا هو معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾.

o الحكمة في تعدد الأنبياء والرسل:

الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا، كذلك الأنبياء والرسل تتفق دعوة بعضهم مع بعضهم الآخر، لأنهم متفقون في أصول الأحكام والاعتقاد، هذا الجانب الذي لا يقبل الاجتهاد ولا يقبل أن يكون للنفس البشرية أو العقل البشري مدخل في تغيير شيءٍ منه، نجمل **حكمة تعدد الأنبياء في ثلاثة أسباب:**

السبب الأول: اختلاف الناس في البيئات والظروف، فالبيئات التي يقيم فيها الناس ليست واحدة وليست متفقة، وكذلك الظروف التي يمر بها الإنسان على مر الأزمان متغيرة بتغير الجماعات والعصور.

السبب الثاني: تطور عقول الناس وتجاربهم في الحياة، فإن مدارك الناس وعقولهم لا تقف عند حد معين ثابت، وإنما هي تتطور بتطور الحياة، فكان كل رسول يرسل إلى قومه بشريعةٍ تتلاءم مع مفاهيمهم وإدراكهم وما تعارفوا عليه في حياتهم.

السبب الثالث: تحقيق أسلوب التدرج في التشريع، فالتدرج في الدعوة أمرٌ لازم ومطلوب، حتى يتزامن التشريع مع مقتضيات الحياة الإنسانية وأساليب إقناع الناس، ليحدث التأثير عليهم ويتم التطبيق وفقاً لمقتضى حال القوم، وهكذا فإنها رعاية الخالق لمخلوقيه، فهو العليم بأحوال البشرية وما يتناسب مع حال كل أمة.

o ما الحكمة في كون الرسالات السابقة خاصة ورسالة نبينا محمد صلى عليه وآله وصحبه وسلم عامة للثقلين؟

نقول: الرسالات كلها من عند الله سبحانه وتعالى وهي متفقة في أصول العقيدة، إلا أنها تتطور بتطور الإنسان في هذهِ الحياة واتساع مداركه العقلية، فكلما جاءت رسالة كان محتواها أوسع وتعاليمها أعمق وأكثر، فلم تكن الدعوة على هذا المبدأ كاملة التفاصيل، وإنما جاءت بالقدر الذي يستطيع العقل آنذاك هضمه وفهمهُ، ولأن كل رسالة إنما تأتي لقوم معينين لأن ما يلائم أمة بعينها من أحكام وفروع قد لا يلائم الأمة التي تأتي بعدها، وهذهِ سنة الله في خلقه.